بسم الله الرحمن الرحيم

٦٦- كتاب فضائل القرآن

١ - باب كيف نزلَ الوحيُ، وأولُ ما نزل

قال ابنُ عباس: المهيمنُ الأمين، القرآنُ أمينٌ على كل كتاب قبله.

٤٩٧٨، ٤٩٧٩ - عن عائشةَ وابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهم قالا: لبثَ النبيُّ ﷺ بمكة عشرَ سنينَ يَنزلُ عليهِ القرآنُ، وبالمدينةِ عَشر سنين».

٤٩٨٠ - عن أبي عثمانَ قال: «أنبئتُ أن جبريلَ أتى النبيَّ ﷺ وعندَه أمُّ سلَمة، فجعل يتحدَّث، فقال النبيُّ ﷺ لأمِّ سَلمةَ: من هذا؟ أو كما قال. قالت: هذا دِحْيَةُ. فلما قام قالت: واللهِ ما حَسِبته إلا إياه، حتى سمعتُ خُطبةَ النبيِّ ﷺ يُخبر خَبرَ جِبريل. أو كما قال. قال أبي قُلت لأبي عثمان: ممن سمعتَ هذا؟ قال: من أسامةَ بن زيدٍ».

٤٩٨١ - عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: «قال النبيُّ ﷺ: ما منَ الأنْبياءِ نبيٌّ إلا أُعطيَ من الآيات ما مثلُهُ آمَنَ عليه البشَر، وإنما كان الذي أوتيتُهُ وحْياً أوحاهُ اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يومَ القيامَة».

[الحديث ٤٩٨١ - طرفه في: ٧٢٧٤]

٤٩٨٢ - عن أنَس بن مالكٍ رضي الله عنه أنَّ الله تعالى تابعَ على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كانَ الوحيُ، ثم تُوفيَ رسولُ الله ﷺ بعدُ».

٤٩٨٣ - عن جُنْدَبٍ قال: «اشتكى النبيُّ ﷺ فلم يَقم ليلة أو ليلتين، فأتَتْهُ امرأةٌ فقالت: يا محمد ما أرَى شيطانَكَ إلا قد تركَك، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ {والضُّحى والليلِ إذا سجى. ما ودَّعك ربُّك وما قَلى}».

قوله (لبث النبيُّ ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشر سنين) وهذا ظاهره أنه ﷺ عاش ستين سنة إذا انضم إلى المشهور أنه بعث على رأس الأربعين، لكن يمكن أن يكون الراوي ألغى الكسر كما تقدم بيانه في الوفاة النبوية[1]، فالمعتمد أنه عاش ثلاثا وستين، ويؤخذ من هذا الحديث مما يتعلق بالترجمة أنه نزل مفرقا ولم ينزل جملة واحدة.

وفي رواية للحاكم والبيهقي في الدلائل «فرق في السنين» وفي أخرى صحيحة لابن أبي شيبة والحاكم أيضاً «وضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ» وإسناده صحيح، وما تقدم من أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء

(١) كتاب المغازي باب / ٨٥ ح ٤٤٦٤،٤٤٦٥ - ٣ / ٤٤٥

الدنيا ثم أنزل بعد ذلك مفرقا هو الصحيح المعتمد.

والمعتمد أن جبريل كان يعارض النبي ﷺ في رمضان بما ينزل به عليه في طول السنة، كذا جزم به الشعبي فيما أخرجه عنه أبو عبيد وابن أبي شيبة بإسناد صحيح، وقد أخرج أحمد والبيهقي في «الشعب» عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «أنزلت التوراة لست مضين من رمضان. والإنجيل لثلاث عشرة خلت منه، والزبور لثمان عشرة خلت منه، والقرآن لأربع وعشرين خلت من شهر رمضان». وهذا كله مطابق لقوله تعالى {شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن} ولقوله تعالى {إنا أنزلناه في ليلة القدر} فيحتمل أن تكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا، ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول {اقرأ باسم ربك}، ويستفاد من حديث الباب أن القرآن نزل كله بمكة والمدينة خاصة، وهو كذلك، لكن نزل كثير منه في غير الحرمين حيث كان النبي ﷺ في سفر حج أو عمرة أو غزاة، ولكن الاصطلاح أن كل ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني، سواء نزل في البلد حال الإقامة أو في غيرها حال السفر،وفي هذا الحديث أن للملك أن يتصور على صورة الآدمي، وأن له هو في ذاته صورة لا يستطيع الآدمي أن يراه فيها لضعف القوى البشرية إلا من يشاء الله أن يقويه على ذلك، ولهذا كان غالب ما يأتي جبريل إلى النبي ﷺ في صورة الرجل كما تقدم في بدء الوحي «وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا» ولم يُر جبريل على صورته التي خلق عليها إلا مرتين كما ثبت في الصحيحين.

قوله (من الآيات) أي المعجزات الخوارق.

قوله (وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي) أي أن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل عليَّ وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، وليس المراد حصر معجزاته فيه ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره، لأن كل نبي أعطي معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدى بها قومه، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشيا عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره. وكذلك إحياء عيسى الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك، وقيل المراد أن معجزات الأنبياء

انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، وهذا أقوى المحتملات.

قوله (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة) رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته وعموم نفعه، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون، فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد، فحسن ترتيب الرجوى المذكورة على ذلك، وهذه الرجوى قد تحققت، فإنه أكثر الأنبياء تبعاً، وسيأتي بيان ذلك واضحاً في كتاب الرقاق[١] إن شاء الله تعالى، وتعلق هذا الحديث بالترجمة من جهة أن القرآن إنما نزل بالوحي الذي يأتي به الملك لا بالمنام ولا بالإلهام. وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء: أحدها حسن تأليفه والتئام كلمه مع الإيجاز والبلاغة ثانيها صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظماً ونثرا حتى حارت فيه عقولهم ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه، ثالثها ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب، رابعها الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي وبعضها بعده، ومن غير هذه الأربعة آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه، كتمني اليهود الموت، ومنها الروعة التي تحصل لسامعه، ومنها أن قارئه لا يمل من ترداده وسامعه لا يمُجُّه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة. ومنها أنه آية باقية لاتعدم ما بقيت الدنيا، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها ولا تنتهي فوائدها، اهـ. ملخصاً من كلام عياض وغيره.

قوله (حتى توفاه أكثر ما كان الوحي) أي الزمان الذي وقعت فيه وفاته كان نزول الوحي فيه أكثر من غيره من الأزمنة.

قوله (حدثنا سفيان) هو الثوري، وقد تقدم شرح الحديث قريباً في سورة والضحى، ووجه إيراده في هذا الباب الإشارة إلى أن تأخير النزول أحيانا إنما كان يقع لحكمة تقتضي ذلك لا لقصد تركه أصلاً، فكان نزوله على أنحاء شتى: تارة يتتابع، وتارة يتراخى، وفي إنزاله مفرقا وجوه من الحكمة: منها تسهيل حفظه لأنه لو نزل جملة واحدة على أمة أمية لا يقرأ غالبهم ولا يكتب لشق عليهم حفظه، وأشار سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله ردا على الكفار

(١) بل في كتاب الاعتصام باب / ١ ح ٧٢٧٤ - ٥ / ٤٨٨

{وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك - أي أنزلناه مفرقا- لنثبت به فؤادك} وبقوله تعالى {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث}. ومنها ما يستلزمه من الشرف له والعناية به لكثرة تردد رسول ربه إليه يعلمه بأحكام ما يقع له وأجوبة ما يسأل عنه من الأحكام والحوادث، ومنها أنه أنزل على سبعة أحرف فناسب أن ينزل مفرقا، إذ لو نزل دفعة واحدة لشق بيانها عادة، ومنها أن الله قدر أن ينسخ من أحكامه ما شاء، فكان إنزاله مفرقا لينفصل الناسخ من المنسوخ أولى من إنزالهما معاً.

٢ ـ باب نزَل القرآنُ بلِسان قُريش والعرَب

{قُرآناً عَرَبياً بِلسانٍ عربيٍّ مُبين} /الشعراء:١٥٩/.

٤٩٨٤ ـ عن أنَس بن مالك قال: «فأمَرَ عثمانُ زيدَ بن ثابت وسعيدَ بن العاص وعبدَ اللهَ بن الزُّبير وعبدَ الرحمن بن الحارث بن هِشام أن يَنسخُوها في المصاحِف وقال لهُم: إذا اختَلَفْتم أنتم وزيدُ بن ثابت في عربيَّة من عربية القرآن، فاكتُبوها بلِسان قُرَيش، فإنَّ القرآن أُنزِل بلسانِهم، ففَعَلوا».

٤٩٨٥ ـ عن صَفْوان بنِ يَعلى بن أميَّةَ «أنَّ يعلى كان يقول لَيتَني أرى رسول الله ﷺ حين يُنزَل عليه الوحي، فلما كان النبيُّ ﷺ بالجِعرانة وعليه ثوبٌ قد أظلَّ عليه ومعه الناسُ من أصحابه، إذ جاءَهُ رجلٌ متُضمِّخٌ بطيب فقال: يا رسولَ الله: كيف ترى في رجلٍ أحرمَ في جُبَّةٍ بعدما تَضَمخَ بطيب، فنَظَر النبيُّ ﷺ ساعةً فجاءهُ الوحيُ، فأشار عمرُ إلىَ يَعلى أي تعال، فجاءَ يعلى فأدخل رأسهُ، فإذا هو مُحمَرُّ الوجه يَغِطُّ كذلك ساعةً، ثمَّ سُرِّي عنه فقال: أين الذي يسألني عن العُمرةِ آنفا؟ فالتُمِس الرجلُ فجيءَ به إلى النبيِّ ﷺ فقال: أما الطيبُ الذي بك فاغسِله ثلاث مرَّات، وأمَّا الجُبةُ فانزعها، ثم اصنَع في عُمرتك كما تصنعُ في حَجِّك».

قوله (كان يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ الخ) تقدم شرح هذا الحديث مستوفى في كتاب الحج(١).

٣ ـ باب جَمع القُرآن

٤٩٨٦ ـ عن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه قال: أرسل إليَّ أبو بكر الصديق مقتَلَ أهلِ اليَمامة، فإذا عُمرُ بنُ الخطاب عندهُ، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنَّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتلَ قد استَحَرَّ يومَ اليمامةِ بقُرَّاءِ القرآن، وإنِّي أخشى إنِ استَحَرَّ القَتلُ بالقرَّاء بالمواطن فَيذهب كثيرٌ من القرآن، وإنِّي أرى أن تأمُرَ بجمع القرآن، قلت لِعُمَر: كيف نفعَلُ

(١) [كتاب الحج باب / ١٧ ح ١٥٣٦ - ٢ / ٩]

شيئاً لم يفعله رسولُ الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خيْر، فلم يزَلْ عُمر يُراجعُني حتى شرحَ الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عُمر. قال زيدٌ قال أبو بكر: إنك رجلٌ شاب عاقل لا نَتهِمُك، وقد كنتَ تكتُبُ الوحيَ لرسولِ الله ﷺ، فَتَتَبَّعِ القرآنَ فاجمَعْه، فوالله لو كلَّفُوني نقْلَ جَبَلٍ من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ ممَّا أمرني به مِن جَمع القرآن، قلت: كيف تَفعَلون شيئاً لم يَفعله رسولُ الله ﷺ؟ قال: هو واللهِ خير، فلم يَزَلْ أبو بكرٍ يُراجِعني حتى شَرَحَ الله صَدري للذي شرحَ له صدرَ أبي بكر وعُمر رضي الله عنهما. فتَتَبَّعتُ القرآنَ أجمعُه منَ العُسُبِ واللِّخاف وصُدور الرِّجال، حتى وجدْت آخر سُورة التَّوبة مع أبي خُزَيْمَةَ الأنصاريِّ لم أجِدْها معَ أحَدٍ غيره {لقد جاءكم رسولٌ مِن أنفُسِكم عَزيزٌ عليه ما عَنِتُّم}، حتَّى خاتمة بَراءةَ، فكانت الصحُفُ عند أبي بكرٍ حتى توفاه الله، ثم عند عُمرَ حياتَه، ثم عند حَفصةَ بنتِ عُمر رضي الله عنه».

٤٩٨٧ - عن أنس بن مالكٍ «أنَّ حُذيفةَ بنَ اليَمان قَدِم على عثمانَ، وكان يُغَازي أهلَ الشام في فتح أرمينيَةَ وأذْرَبيجَان مع أهل العراق، فأفزَعَ حُذَيفةَ اختِلافُهُم في القراءة، فقال حذَيفةُ لعثمانَ: يا أميرَ المؤمنين، أدرك هذه الأمَّةَ قبل أن يختَلِفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنَّصارى. فأرسل عثمانُ إلى حفصةَ أن أرسِلِي إلينَا بالصُّحُف نَنسَخُها في المصاحف ثم نرُدُّها إليك، فأرسلَت بها حفصةُ إلى عثمانَ، فأمرَ زيدَ بن ثابت وعبدَ الله بن الزُّبير وسعيدَ بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هاشم، فَنَسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرَّهطِ القُرَشيِّين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيدُ بن ثابت في شيءٍ من القرآنِ فاكتبوه بلسانِ قُريش فإنما نزَلَ بلسانهم، ففعلوا. حتى إذا نَسخُوا الصحُفَ في المصاحف ردَّ عثمانُ الصحف إلى حفصةَ، فأرسل إلى كل أفق بِمصْحَفٍ ممَّا نسخوا، وأمَرَ بما سِواهُ من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحَفٍ أن يُحرَق».

٤٩٨٨ - عن زيدِ بن ثابتٍ قال: «فقدتُ آية من الأحزاب حين نَسَخنا المصحف قد كنتُ أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجَدناها مَعَ خُزيمةَ بن ثابت الأنصاريِّ: {مِنَ المؤمنين رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليه} /الأحزاب:٢٣/ فألحقناها في سورتِها في المصْحَف».

قوله (مقتل أهل اليمامة) أي عقب قتل أهل اليمامة. والمراد بأهل اليمامة هنا من قتل بها من الصحابة في الوقعة مع مسيلمة الكذاب، وكان من شأنها أن مسيلمة ادعى النبوة وقوى أمره بعد موت النبي ﷺ بارتداد كثير من العرب، فجهز إليه أبو بكر الصديق خالد ابن الوليد في جمع كثير من الصحابة فحاربوه أشد محاربة، إلى أن خذله الله وقتله، وقتل

في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة قيل سبعمائة وقيل أكثر.

قوله (قد استحرَّ) أي اشتد وكثر.

ووقع من تسمية القراء الذين أراد عمر في رواية سفيان بن عيينة المذكورة قتل سالم مولى أبي حذيفة ولفظه «فلما قتل سالم مولى أبي حذيفة خشي عمر أن يذهب القرآن، فجاء إلى أبي بكر» وسيأتي أن سالماً أحد من أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عنه.

قوله (بالقراء بالمواطن) أي في المواطن، أي الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار.

قوله (لم يفعله رسول الله ﷺ) قال الخطابي وغيره: يحتمل أن يكون ﷺ إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء لوعد الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية زادها الله شرفا، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق رضي الله عنه بمشورة عمر، وقد تسوَّل لبعض الروافض أنه يتوجه الاعتراض على أبي بكر بما فعله من جمع القرآن في المصحف فقال كيف جاز أن يفعل شيئاً لم يفعله الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؟ والجواب أنه لم يفعل ذلك إلا بطريق الاجتهاد السائغ الناشئ عن النصح منه لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وقد كان النبي ﷺ أذن في كتابة القرآن ونهى أن يكتب معه غيره، فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوبا، ولذلك توقف عن كتابة الآية من آخر سورة براءة حتى وجدها مكتوبة، مع أنه كان يستحضرها هو ومن ذكر معه. واذا تأمل المنصف ما فعله أبو بكر من ذلك جزم بأنه يعد في فضائله وينوه بعظيم منقبته، لثبوت قوله ﷺ «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» فما جمع القرآن أحد بعده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة.

قوله (قال زيد) أي ابن ثابت (قال أبو بكر) أي قال لي (إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي) ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شاباً فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلا فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له، وهذه الصفات التي اجتمعت له قد توجد في غيره لكن مفرقة.

قوله (من العسب) جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض.

قوله (واللخاف) هي الحجارة الرقاق.

قوله (لم أجدها مع أحد غيره) أي مكتوبة، لما تقدم من أنه كان لا يكتفي بالحفظ دون

الكتابة. ولا يلزم من عدم وجدانه إياها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقها من النبي ﷺ، وإنما كان زيد يطلب التثبت عمن تلقاها بغير واسطة، ولعلهم لما وجدها زيد عند أبي خزيمة تذكروها كما تذكرها زيد، وفائدة التتبع المبالغة في الاستظهار، والوقوف عندما كتب بين يدي النبي ﷺ.

قوله (ثم عند حفصة بنت عمر) أي بعد عمر في خلافة عثمان، إلى أن شرع عثمان في كتابة المصحف، وإنما كان ذلك عند حفصة لأنها كانت وصية عمر، فاستمر ما كان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك.

قوله (فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف) وقد جاء عن عثمان أنه إنما فعل ذلك بعد أن استشار الصحابة، فأخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح من طريق سويد بن غفلة قال: «قال علي: لا تقولوا في عثمان إلا خيرا. فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا، قال ما تقولون في هذه القراءة؟ لقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرا، قلنا: فما ترى ؟ قال: أرى أن تجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت.

قوله (فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا) في رواية شعيب «فأرسل إلى كل جند من أجناد المسلمين بمصحف»، واختلفوا في عدة المصاحف التي أرسل بها عثمان إلى الآفاق؛ فالمشهور أنها خمسة.

قال ابن بطال: في هذا الحديث جواز تحريق الكتب التي فيها اسم الله بالنار وأن ذلك إكرام لها وصون عن وطئها بالأقدام، وقد أخرج عبد الرزاق من طريق طاوس أنه كان يحرق الرسائل التي فيها البسملة إذا اجتمعت، وكذا فعل عروة.

قال ابن التين وغيره: الفرق بين جمع أبي بكر وبين جمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد فجمعه في صحائف مرتباً لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي ﷺ، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد.

٤ ـ باب كاتِبِ النبي ﷺ

٤٩٨٩ ـ عن ابن السبَّاق قال: «إنَّ زيد ابن ثابت قال: أرسل إليَّ أبو بكر رضي الله عنه قال: إنك كنتَ تكتُب الوحيَ لرسول الله ﷺ، فاتَّبِع القرآن، فتَتَبَّعْتُ حتى وجدتُ آخر سورةِ التوبةِ آيتين مع أبي خُزيمةَ الأنصاري لم أجِدهما مع أحَدٍ غيرِهِ {لقد جاءكم رسولٌ من

أنفُسِكم عزيزٌ عليه ما عَنِتّمْ} إلى آخرِه».

٤٩٩٠ ـ عن البَراء قال: «لما نَزَلَت: {لاَ يستَوِي القاعِدون منَ المؤمنين والمجاهدون في سَبيل الله} قال النبيُّ ﷺ: ادعُ لي زيداً وليَجِئ باللوحِ والدواةِ والكَتِف - أو الكتِف والدَواةِ ثم قال اكتب {لا يستَوِي القاعِدون} وخَلف ظهرِ النبي ﷺ عَمرو ابن أمِّ مكتوم الأعمى فقال يا رسولَ الله فما تأمُرُني؟ فإني رجلٌ ضريرُ البصر، فنزلَت مكانها: {لا يستوي القاعدُون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله غيرُ أولي الضرَر}».

قوله (باب كاتب النبي ﷺ) قد كتب الوحي لرسول الله ﷺ جماعة غير زيد بن ثابت، أما بمكة فلجميع ما نزل بها لأن زيد بن ثابت إنما أسلم بعد الهجرة، وأما بالمدينة فأكثر ما كان يكتب زيد، ولكثرة تعاطيه ذلك أطلق عليه الكاتب بلام العهد كما في حديث البراء بن عازب ثاني حديثي الباب، ولهذا قال له أبو بكر: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ. وكان زيد بن ثابت ربما غاب فكتب الوحي غيره، وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أبي بن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة، وأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح، وممن كتب له في الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن الربيع الأسدي ومعيقيب ابن أبي فاطمة وعبد الله بن الأرقم الزهري وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة في آخرين.

٥ ـ باب أُنزِل القرآن على سبعةِ أحرُف

٤٩٩١ ـ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما «أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: أقرأني جبريلُ على حرفٍ فَراجعتهُ، فلم أزَل أستزيدُه ويزيدني حتى انتهى إلى سبعةِ أحرُف».

٤٩٩٢ ـ عن عمرَ بن الخطاب يقول: «سمعتُ هِشامَ ابن حكيم يقرأ سورةَ الفُرقان في حياةِ رسولِ الله ﷺ، فاستمعتُ لقراءته فإذا هو يَقرَأ على حروفٍ كثيرة لم يُقرِئنيها رسولُ الله ﷺ، فكدت أساورهُ في الصلاة، فتصبرتُ حتى سلم، فلببْتهُ بردائه فقلتُ: من أقرَأكَ هذه السورةَ التي سمعتكَ تَقرأ؟ قال: أقرَأنيها رسول الله ﷺ، فقلتُ: كذبتَ، فإنَّ رسول الله ﷺ قد اقرأنيها على غير ما قرأتَ، فانطلقتُ به أقودُه إلى رسولِ الله ﷺ فقلتُ: إني سمعتُ هذا يَقرأ بسورةِ الفرقانِ على حروف لم تُقرِئنيها، فقال رسولُ الله ﷺ: أرسِله، اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعتهُ يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلكَ أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأتُ القراءةَ التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت. إنَّ هذا القرآنَ أنزِلَ على سبعةِ أحرف، فاقرأوا ما تَيسَّر منه».

قوله (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف) أي على سبعة أوجه يجوز أن يقرأ بكل وجه منها، وليس المراد أن كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراآت في الكلمة الواحدة إلى سبعة، وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التسهيل والتيسير، ولفظ السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعين في العشرات والسبعمائة في المئين ولا يراد العدد المعين، وإلى هذا جنح عياض ومن تبعه.

قوله (فكدت أساوره) أواثبه.

قوله (كذبت) أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ.

قوله (فاقرءوا ما تيسر منه) أي من المنزل. وفيه إشارة إلى الحكمة في التعدد المذكور، وأنه للتيسير على القارئ، وهذا يقوي قول من قال: المراد بالأحرف تأدية المعنى باللفظ المرادف ولو كان من لغة واحدة، لأن لغة هشام بلسان قريش وكذلك عمر، ومع ذلك فقد اختلفت قراءتهما، نبه على ذلك ابن عبد البر، ونقل عن أكثر أهل العلم أن هذا هو المراد بالأحرف السبعة، وذهب أبو عبيد وآخرون إلى أن المراد، اختلاف اللغات، وهو اختيار ابن عطية، وتعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة واجيب بأن المراد أفصحها، ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال: أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، قلت:وتتمة ذلك أن يقال: إن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي، أي أن كل أحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته، بل المراعي في ذلك السماع من النبي ﷺ، ويشير إلى ذلك قول كل من عمر وهشام في حديث الباب أقرأني النبي ﷺ.

قال ابن قتيبة في أول «تفسير المشكل» له: كان من تيسير الله أن أمر نبيه أن يقرأ كل قوم بلغتهم، فالهذلي يقرأ عتى حين يريد «حتى حين» والأسدي يقرأ تعلمون بكسر أوله، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز، قال ولو أراد كل فريق منهم أن يزول عن لغته وما جرى عليه لسانه طفلا وناشئا وكهلا لشق عليه غاية المشقة، فيسر عليهم ذلك بمنه، وقد حمل ابن قتيبة وغيره العدد المذكور على الوجوه التي يقع بها التغاير في سبعة أشياء: الأول ما تتغير بتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل {ولا يضار كاتب ولا شهيد} بنصب الراء ورفعها، الثاني ما يتغير بتغير الفعل مثل «بعد بين أسفارنا» و «باعد بين أسفارنا» بصيغة الطلب والفعل الماضي، الثالث ما يتغير بنقط بعض الحروف المهملة مثل «ثم ننشرها بالراء والزاي»، الرابع ما يتغير بإبدال حرف قريب من مخرج الآخر مثل «طلح منضود» في

قراءة علي وطلع منضود. الخامس ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل «وجاءت سكرة الموت بالحق» في قراءة أبي بكر الصديق وطلحة بن مصرف وزين العابدين «وجاءت سكرة الحق بالموت». السادس ما يتغير بزيادة أو نقصان كما تقدم في التفسير عن ابن مسعود وأبي الدرداء «والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى» هذا في النقصان، وأما في الزيادة فكما تقدم في تفسير «تبت يدا أبي لهب» في حديث ابن عباس «وأنذر عشيرتك الأقربين، ورهطك منهم المخلصين». السابع ما يتغير بإبدال كلمة بكلمة ترادفها مثل «العهن المنفوش»في قراءة ابن مسعود وسعيد بن جبير كالصوف المنفوش، وهذا وجه حسن، وقد اختلف السلف في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هل هي مجموعة في المصحف الذي بأيدي الناس اليوم أو ليس فيه إلا حرف واحد منها؟ مال ابن الباقلاني إلى الأول، وصرح الطبري وجماعة بالثاني وهو المعتمد، وقال أبو الفضل الرازي في «اللوائح»: لو اختار إمام من أئمة القراء حروفاً وجرد طريقاً في القراءة بشرط الاختيار لم يكن ذلك خارجاً عن الأحرف السبعة. وقال الكواشي: كل ما صح سنده واستقام وجهه في العربية ووافق لفظه خط المصحف الإمام فهو من السبعة المنصوصة فعلى هذا الأصل بني قبول القراآت عن سبعة كانوا أو سبعة آلاف، ومتى فقد شرط من الثلاثة فهو الشاذ قلت: وإنما أو سعت القول في هذا لما تجدد في الأعصار المتأخرة من توهم أن القراآت المشهورة منحصرة في مثل «التيسير» والشاطبية، واستدل بقوله ﷺ {فاقرءوا ما تيسر منه} على جواز القراءة بكل ما ثبت من القرآن بالشروط المتقدمة، وهي شروط لابد من اعتبارها، فمتى اختل شرط منها لم تكن تلك القراءة معتمدة، وقد قرر ذلك أبو شامة في «الوجيز» تقريراً بليغاً وقال: لا يقطع بالقراءة بأنها منزلة من عند الله إلا إذا اتفقت الطرق عن ذلك الإمام الذي قام بإمامة المصر بالقراءة وأجمع أهل عصره ومن بعدهم على إمامته في ذلك، قال أما إذا اختلفت الطرق عنه فلا، فلو اشتملت الآية الواحدة على قراآت مختلفة مع وجود الشرط المذكور جازت القراءة بها بشرط أن لا يختل المعنى ولا يتغير الإعراب. وذكر أبو شامة في «الوجيز» أن فتوى وردت من العجم لدمشق سألوا عن قارئ يقرأ عشراً من القرآن فيخلط القراآت، فأجاب ابن الحاجب وابن الصلاح وغير واحد من أئمة ذلك العصر بالجواز بالشروط التي ذكرناها، كمن يقرأ مثلاً {فتلقى آدم من ربه كلمات} فلا يقرأ لابن كثير بنصب آدم ولأبي عمرو بنصب كلمات، وكمن يقرأ «نغفر لكم» بالنون «خطاياتكم» بالرفع، قال أبو شامة: لا شك في منع مثل هذا، وما عداه فجائز والله أعلم، وقد شاع في زماننا من طائفة من القراء إنكار ذلك حتى صرح بعضهم بتحريمه فظن كثير من الفقهاء إنَّ لهم في ذلك

معتمداً فتابعوهم وقالوا: أهل كل فن أدرى بفنهم، وهذا ذهول ممن قاله، فإن علم الحلال والحرام إنما يتلقى من الفقهاء، والذي منع ذلك من القرآء إنما هو محمول على ما إذا قرأ برواية خاصة فإنه متى خلطها كان كاذباً على ذلك القارىء الخاص الذي شرع في إقراء روايته، فمن أقرأ رواية لم يحسن أن ينتقل عنها إلى رواية أخرى كما قاله الشيخ محيّ الدين، وذلك من الأولوية لا على الحتم، أما المنع على الإطلاق فلا والله أعلم.

٦ ـ باب تأليفِ القرآن

٤٩٩٣ ـ عن يوسفَ بن ماهَك: قال إني عِندَ عائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عِراقيٌّ، فقال: أي الكفن خيرٌ؟ قالت: ويحك وما يضرك، قال يا أمَّ المؤمنين أريني مصحفك، قالت لِمَ؟ قال: لَعَلي أؤلف القرآنَ عليه، فإنه يُقرأ غير مؤلف قالت وما يَضُرُّك أيهُ قرأتَ قبلُ إنما نزل أولَ ما نزل منه سورة المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ناب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندَعُ الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندَعُ الزِّنا أبداً، لقد نزَل بمكةَ على محمد ﷺ وإني لجاريةٌ ألعبُ: بل الساعةُ موعِدُهُم والساعةُ أدهىَ وأمَرُّ، وما نَزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عندَه. قال: فأخرجَتْ له المصحف، فأملت عليه آيَ السُّور.

٤٩٩٤ ـ عن ابن مسعودٍ يقول في بني إسرائيلَ والكهْفِ ومريم وطه والأنبياء: إنهُن من العِتاق الأوَل، وهُنَّ مِن تِلادِي.

٤٩٩٥ ـ عن البراءِ رضي الله عنه قال: تعلمت {سَبِّحِ اسمَ ربِّك الأعلى} قبلَ أن يَقدَمَ النبي ﷺ.

٤٩٩٦ ـ عن عبد الله قال: لقد تَعلمت النَّظائرَ التي كان النبي ﷺ يَقرؤهن اثنين اثنين في كلِّ ركعةٍ فقام عبدُ الله ودخَل معهُ علقمةُ وخرج علقمةُ فسألنَاه فقال عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرُهن الحوَاميم؛ حم الدّخان وعمَّ يتساءلون.

قوله (باب تأليف القرآن) أي جمع آيات السورة الواحدة، أو جمع السور مرتبة في المصحف.

قوله (إذ جاءها عراقي) أي رجل من أهل العراق.

قوله (أي الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرك؟) لعل هذا العراقي كان سمع حديث سمرة المرفوع «البسوا من ثيابكم البياض وكفنوا فيها موتاكم فإنها أطهر وأطيب» وهو عند الترمذي مصححاً، وأخرجه أيضاً عن ابن عباس: فلعل العراقي سمعه فأراد أن يستثبت عائشة في ذلك، وكان أهل العراق اشتهروا بالتعنت في السؤال، فلهذا قالت له عائشة:

وما يضرك؟ تعني أي كفن كفنت فيه أجزأ، وقول ابن عمر الذي سأله عن دم البعوض مشهور حيث قال: انظرو إلى أهل العراق، يسألون عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ، قال ابن بطال: لا نعلم أحداً قال بوجوب ترتيب السور في القراءة لا داخل الصلاة ولا خارجها، بل يجوز أن يقرأ الكهف قبل البقرة والحج قبل الكهف مثلاً، وأما ما جاء عن السلف من النهي عن قراءة القرآن منكوساً فالمراد به أن يقرأ من آخر السورة إلى أولها، وكان جماعة يصنعون ذلك في القصيدة من الشعر مبالغة في حفظها وتذليلاً للسانه في سردها، فمنع السلف ذلك في القرآن فهو حرام فيه، وقال القاضي عياض في شرح حديث حذيفة أن النبي ﷺ قرأ في صلاته في الليل بسورة النساء قبل آل عمران: هو كذلك في مصحف أبيّ بن كعب، وفيه حجة لمن يقول أن ترتيب السور اجتهاد وليس بتوقيف من النبي ﷺ وهو قول جمهور العلماء واختاره القاضي الباقلاني قال: وترتيب السور ليس بواجب في التلاوة ولا في الصلاة ولا في الدرس ولا في التعليم فلذلك اختلفت المصاحف، فلما كتب مصحف عثمان رتبوه على ما هو عليه الآن، فلذلك اختلف ترتيب مصاحف الصحابة. ثم ذكر نحو كلام ابن بطال ثم قال: ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف توقيف من الله تعالى وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها ﷺ.

قوله (حتى إذا ثاب) أي رجع.

قوله (نزل الحلال والحرام) أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: «ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها» وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف.

٧ ـ باب كان جِبريلُ يعرِضُ القرآنَ على النبيِّ ﷺ

وقال مسروقٌ عَن عائشةَ رضي الله عنها عن فاطمة عليها السلامُ «أسرَّ إليَّ النبيُّ ﷺأنَّ جِبريلَ كان يُعارِضُني بالقرآن كلَّ سنةٍ، وإنه عَارضني العامَ مرَّتين، ولا أُراهُ إلا حَضَرَ أجَلي»

٤٩٩٧ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال «كان النبيُّ ﷺ أجوَدَ الناسِ بالخير، وأجوَدُ ما يكونُ في شهر رمضانَ، لأن جبريلَ كان يَلقاه في كل ليلة في شهر رمضانَ حتى ينسلِخَ، يعرِضُ عليه رسولُ الله ﷺ القرآن، فإذا لقِيهُ جبريلُ كان أجوَدَ بالخير من الرِّيحِ المُرسَلة».

٤٩٩٨ ـ عن أبي هُريرةَ قال: «كان يَعرِضُ على النبيِّ ﷺ القرآن كلَّ عام مرَّةً، فعرض عليه مرَّتَين في العام الذي قُبِضَ فيه، وكان يعتكِفُ في كلِّ عامٍ عَشراً، فاعتكَفَ عِشرين

في العام الذي قُبض فيه».

قوله (باب كان جبريل يعرِض القرآن على النبي ﷺ) من العَرْض أي يقرأ، والمراد يستعرضه ما أقرأه إياه.

قوله (لأن جبريل كان يلقاه) فيه بيان سبب الأجودية المذكورة، وفي الحديث من الفوائد غير ما سبق تعظيم شهر رمضان لاختصاصه بابتداء نزول القرآن فيه، ثم معارضته ما نزل منه فيه، ويلزم من ذلك كثرة نزول جبريل فيه. وفي كثرة نزوله من توارد الخيرات والبركات مالا يحصى، ويستفاد منه أن فضل الزمان إنما يحصل بزيادة العبادة، وفيه أن مداومة التلاوة توجب زيادة الخير، وفيه استحباب تكثير العبادة في آخر العمر، ومذاكرة الفاضل بالخير والعلم وإن كان هو لا يخفى عليه ذلك لزيادة التذكرة والاتعاظ.

٨- باب القراء من أصحاب النبيِّ ﷺ

٤٩٩٩ ـ عن مسروقٍ «ذكر عبدَ الله بن عمرَ وعبدَ الله بن مسعود فقال: لا أزالُ أحبه، سمعتُ النبي ﷺ يقول: خُذوا القرآنَ من أربعة؛ من عبدِ الله بن مسعود وسالم ومُعاذ وأبيِّ ابن كعب».

٥٠٠٠ ـ عن شقيق بنِ سلَمةَ قال: «خَطَبَنا عبدُ الله بن مسعودٍ فقال: واللهِ لقد أخَذتُ من في رسولِ الله ﷺ بضعاً وسَبعين سورة، واللهِ لقد عَلم أصحاب النبي ﷺ أني من أعْلَمهم بكتاب اللهِ، وما أنا بَخيرهم. قال شقيق فجلست في الحِلقِ أسمعُ ما يقولون فما سمعتُ راداً يقول غيرَ ذلك».

٥٠٠١ ـ عن علقمةَ قال: «كنّا بحِمْص، فقرأ ابنُ مسعودٍ سورةَ يوسُفَ، فقال رجل ما هكذا أنزلت، فقال: قرأتُ على رسولِ الله ﷺ فقال: أحسَنتَ، ووَجَد منه رِيحَ الخَمر فقال: أتَجْمَعَ أن تُكَذِّبَ بكتاب الله وتشربَ الخمر؟ فضرَبَهُ الحدَّ».

٥٠٠٢ ـ عن مسروقٍ قال: قال عبدُ اللهِ رضي الله عنه: واللهِ الذي لا إلهَ غيره، ما أنْزِلت سورةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلَت، ولا أنزلَت آيةٌ من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمَن أنزِلت، ولو أعلَم أحداً أعلم مِنّي بكتاب الله تُبلغُهُ الإبلُ لركِبْتُ إليه».

٥٠٠٣ ـ عن قتادةَ قال: «سألْتُ أنسَ بن مالكٍ رضي الله عنه: من جمع القرآنَ على عهدِ النبيِّ ﷺ؟ قال: أربعةٌ كلهم من الأنصار أُبيُّ بن كعب، ومُعاذُ بن جَبل، وزيدُ بن ثابت؛ وأبو زيد».

٥٠٠٤ ـ عن أنسٍ قال «مات النبيُّ ﷺ ولم يَجمعِ القرآنَ غيرُ أربعَة: أبو الدرداء، ومُعاذُ بن جَبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال: ونحنُ ورثناه».

٥٠٠٥ - عن ابن عباسٍ قال: «قال عُمرُ: أبَيٌّ أقرَؤنا، وإنّا لَنَدعُ من لحنِ أبَيٍّ، وأبيٌّ يقولُ: أخذتهُ مِن في رسُولِ الله ﷺ فلا أتركه لشيء، قال اللهُ تعالى: {ما نَنسخْ مِن آيةٍ أو نُنسها نأتِ بخيرٍ منها أو مِثلِها}.

قوله (باب القراء من أصحاب رسول الله ﷺ) أي الذين اشتهروا بحفظ القرآن والتصدي لتعليمه، وهذا اللفظ كان في عُرف السلف أيضاً لمن تفقه في القرآن.

قوله (خذوا القرآن من أربعة) أي تعلموه منهم، والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين واثنان من الأنصار، وفي أوله «ذكر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا القرآن من أربعة فبدأ به» فذكر حديث الباب. ويستفاد منه محبة من يكون ماهرا في القرآن، وقال القرطبي: في الحديث حجة على من يمنع وجوب الحد بالرائحة كالحنفية وقد قال به مالك وأصحابه وجماعة من أهل الحجاز. قلت: والمسألة خلافية شهيرة، والمانع أن يقول: إذا احتمل أن يكون أقر سقط الاستدلال بذلك، ولما حكى الموفق في «المغني» الخلاف في وجوب الحد بمجرد الرائحة اختار أن لا يحد بالرائحة وحدها بل لابد معها من قرينة كأن يوجد سكران أو يتقيأها، ونحوه أن يوجد جماعة شهروا بالفسق ويوجد معهم خمر ويوجد من أحدهم رائحة الخمر، وحكى ابن المنذر عن بعض السلف أن الذي يجب عليه الحد بمجرد الرائحة من يكون مشهوراً بإدمان شرب الخمر.

قوله (سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار) في رواية الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في أول الحديث «افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقال الأوس: منا أربعة: من اهتز له العرش؛ سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومن حمته الدبر عاصم بن ثابت، فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم، فذكرهم.

قال المازري: لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد، وهذا لا يتم إلا إن كان لقي كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع القرآن في عهد النبي ﷺ، وهذا في غاية البعد في العادة، واستدل القرطبي على ذلك ببعض ما تقدم من أنه قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد، قال وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تعلقه بهم دون غيرهم، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم.

٩ ـ باب فضل فاتِحَةِ الكتاب

٥٠٠٦ ـ عن أبي سعيد بن المعلّى قال: «كنت أصلّي، فدَعاني النبيُّ ﷺ فلم أجِبه، قُلتُ: يارسول الله إني كنت أصلّي، قال ألم يقل اللهُ {استَجيبوا لله وللرسول إذا دَعاكم؟} ثم قال: ألا أعلّمك أعظمَ سورةٍ في القرآن قبل أن تخرُجَ مِنَ المسجدِ؟ فأخذَ بيدي، فلما أردنا أن نخرُجَ قلت: يا رسولَ الله، إنك قلتَ لأعلمنَّك أعظم سورةٍ في القرآن، قال: {الحمدُ للهِ ربِّ العالَمين} هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيتُه».

٥٠٠٧ ـ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: «كنا في مَسيرٍ لنا، فنزلْنا، فجاءَت جاريةٌ فقالت إنّ سيدَ الحيِّ سليم، وإنّ نفرَنا غُيَّبٌ، فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجلٌ ما كنا نأبُنُهُ برُقيَةٍ، فرَقاه فبَرَأ، فأمر لنا بثلاثين شاةً وسقانا لبَنا. فلما رجع قلنا له أكنتَ تُحسن رُقيةً أو كنتَ ترقي؟ قال: لا، ما رَقيتُ إلا بأمِّ الكتاب. قلنا لا تُحدِثوا شيئاً حتى نأتيَ أو نسألَ النبيَّ ﷺ. فلما قدِمنا المدينةَ ذكرناهُ للنبيِّ ﷺ فقال: وما كان يُدريه أنها رُقْية؟ اقسموا واضربوا لي بَسهْم».

قوله (باب فضل فاتحة الكتاب) ذكر فيه حديثين: أحدهما حديث أبي سعيد بن المعلى في أنها أعظم سورة في القرآن، والمراد بالعظيم عظم القدر بالثواب المرتب على قراءتها وإن كان غيرها أطول منها، وذلك لما اشتملت عليه من المعاني المناسبة لذلك. ثانيهما حديث أبي سعيد الخدري في الرقية بفاتحة الكتاب، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الإجارة(١)، وهو ظاهر الدلالة على فضل الفاتحة. قال القرطبي: اختصت الفاتحة بأنها مبدأ القرآن وحاوية لجميع علومه، لاحتوائها على الثناء على الله والإقرار بعبادته والإخلاص له وسؤال الهداية منه والإشارة إلى الاعتراف بالعجز عن القيام بنعمه، وإلى شأن المعاد وبيان عاقبة الجاحدين، إلى غير ذلك مما يقتضي أنها كلها موضع الرقية.

١٠ ـ باب فضل سورة البَقرة

٥٠٠٨ ـ عن أبي مسعودٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «من قرأ بالآيتَين....»

٥٠٠٩ ـ عن أبي مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «مَن قرأ بالآيتين من آخرِ سورة البقرة في ليلة كَفتاه».

٥٠١٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «وكَلني رسولُ الله ﷺ بحفْظِ زكاةِ رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يَحثو مِن الطعام، فأخذتُه فقلتُ: لأرفَعنَّك إلى رسول الله ﷺ...فقص

(١) [كتاب الإجارة باب / ١٦ ح ٢٢٧٦ - ٢ / ٣٠٩]

الحديث، فقال: إذا أويت إلى فِراشِك فاقرأ آية الكُرسيِّ لم يزَل معك من اللهِ حافِظٌ ولا يقرُبك شيطانٌ حتى تُصبح. فقال النبي ﷺ صدَقَك وهو كذُوب، ذاكَ شيطان».

قوله (كفتاه) أي أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن، وقيل اجزأتا عنه عن قراءة القرآن مطلقاً سواء كان داخل الصلاة أم خارجها، وقيل معناه أجزأتاه فيما يتعلق بالاعتقاد لما اشتملتا عليه من الإيمان والأعمال إجمالاً، وقيل معناه كفتاه كل سوء، وقيل كفتاه شر الشيطان، وقيل دفعتا عنه شر الإنس والجن، وقيل معناه كفتاه ما حصل له بسببهما من الثواب عن طلب شيء آخر، وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتاه من الثناء على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله وابتهالهم ورجوعهم إليه وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم. ويجوز أن يراد جميع ما تقدم والله أعلم.

١١ ـ باب فَضْل الْكَهْفِ

٥٠١١ ـ عن البراء قال: «كان رجلٌ يقرأُ سورةَ الكهْف، وإلى جانبه حِصانٌ مَرْبوط بِشَطَنَين، فتغشَّتْه سحابةٌ، فجَعلَت تدنو وتدنو، وجعَلَ فرسُهُ يَنفِر فلما أصبح أتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال: تلك السكِينَةُ تَنزلَت بالقرآن».

قوله (كان رجل) قيل هو أسيد بن حضير.

قوله (بشطنين) جمع شطن وهو الحبل، وتقرر لفظ السكينة في القرآن والحديث، فروى الطبري وغيره عن علي قال: هي ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، وقيل لها رأسان، وعن مجاهد لها رأس كرأس الهر، وعن الربيع بن أنس لعينها شعاع، وعن السدي: السكينة طست من ذهب من الجنة يغسل فيها قلوب الأنبياء، وعن أبي مالك قال: هي التي ألقى فيها موسى الألواح والتوراة والعصا، وعن وهب بن منبه: هي روح من الله، وعن الضحاك ابن مزاحم قال: هي الرحمة، وعنه هي سكون القلب وهذا اختيار الطبري، وقيل هي الطمأنينة، وقيل الوقار، وقيل الملائكة ذكره الصغَّاني، والذي يظهر أنها مقولة بالاشتراك على هذه المعاني، فيحمل كل موضع وردت فيه على ما يليق به، والذي يليق بحديث الباب هو الأول، وليس قول وهب ببعيد. وقال النووي: المختار أنها شيء من المخلوقات فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة.

١٢ ـ باب فَضْل سُورَةِ الْفَتْحِ

٥٠١٢ ـ عن زيد بن أسلمَ عن أبيه «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يَسيرُ في بعضِ أسفاره، وعمرُ بن الخطاب يَسيرُ معه ليلاً، فسأله عُمرُ عن شيء فلم يُجبه رسولُ الله ﷺ، ثم سأله فلم يُجبه، ثم سأله فلم يجبهُ، فقال عُمرُ ثِكلَتك أمُّكَ نزرتَ رسولَ الله ﷺ ثلاث مرات، كلَّ

ذلك لا يُجيبُك. قال عُمر: فحركْتُ بَعيري حتى كنتُ أمام الناس، وخشيتُ أن ينزل فيَّ قرآن، فما نشبتُ أن سمعتُ صارخا يَصرُخ، قال فقلت: لقد خشيتُ أن يكون نزَل فيَّ قرآنٌ قال: فجئتُ رسولَ الله ﷺ فسلمتُ عليه فقال لقد أنزلت عَليَّ الليلةَ سورةٌ لهيَ أحبُّ إليَّ مما طلعَتْ عليه الشمسُ، ثم قرأ: {إنا فَتَحْنا لك فتحاً مُبينا}».

١٣ ـ باب فضل {قُل هو اللهُ أحدَ} فيه عَمرةُ عن عائشة عن النبي ﷺ

٥٠١٣ ـ عن أبي سعيدِ الخُدريِّ «أنَّ رجلاً سمع رجُلاً يقرأ {قُل هو الله أحدٌ} يُرَدِّدُها، فلما أصبح جاءَ إلى رسولِ الله ﷺ فذكر ذلِك له - وكأنَّ الرجُلَ يتقالّها - فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيدِه إنها لتعدِل ثُلُثَ القرآن».

[الحديث ٥٠١٣ طرفاه في ٦٦٤٣، ٧٣٧٤]

٥٠١٤ ـ عن أبي سعيدِ الخُدريِّ أخبَرني أخي قتادةُ بن النُّعمان «أنَّ رجلاً قام في زمَن النبي ﷺ يقرأ منَ السَّحر {قل هو الله أحَد} لا يزيد عليها، فلما أصبَحنا أتى الرجلُ النبيَّ ﷺ... نحوَهُ».

٥٠١٥ ـ عن أبي سعيدِ الخدريِّ رضي الله عنه قال: «قال النبي ﷺ لأصحابه: أيعجزُ أحدُكم أن يقرأَ ثلث القرآن في ليلة؟ فشقَّ ذلك عليهم وقالوا: أيُّنا يطيقُ ذلك يا رسولَ الله؟ فقال: اللهُ الواحِدُ الصَّمَدُ ثلث القرآنِ»

قوله (يتقالها) أي يعتقد أنها قليلة.

قوله (أخبرني أخي قتادة بن النعمان) هو أخوه لأمه.

قوله (ثلث القرآن) حمله بعض العلماء على ظاهره فقال هي ثلث باعتبار معاني القرآن، لأنه أحكام وأخبار وتوحيد وقد اشتملت هي على القسم الثالث فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار، ويستأنس لهذا بما أخرجه أبو عبيدة من حديث أبي الدرداء قال: «جزّأ النبيُّ ﷺ القرآن ثلاثة أجزاء: فجعل قل هو الله أحد جزءاً من أجزاء القرآن» و قال القرطبي: اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى، يتضمنان جميع أصناف الكمال، لم يوجدا في غيرها من السور، وهما الأحد الصمد، لأنهما يدلان على أحدية الذات المقدسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك؛ أن الأحد يشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، والصمد يشعر بجميع أوصاف الكمال لأنه الذي انتهى إليه سؤدده فكان مرجع الطلب منه وإليه، ولا يتم ذلك على وجه التحقيق إلا لمن حاز جميع خصال الكمال وذلك لا يصلح إلا لله تعالى، وفي الحديث إثبات فضل قل هو الله أحد، وفيه إلقاء العالم المسائل على أصحابه، واستعمال اللفظ في غير ما يتبادر للفهم، لأن المتبادر من إطلاق ثلث القرآن أن

المراد ثلث حجمه المكتوب مثلاً، وقد ظهر أن ذلك غير مراد.

١٤ ـ باب فضل المعَوِّذات

٥٠١٦ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها «أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات ويَنفثُ، فلما اشتد وجَعُهُ كنتُ أقرأ عليه وأمسَحُ بَيده رجاءَ بركَتِها».

٥٠١٧ ـ عن عائشةَ «أن النبيَّ ﷺ كان إذا أوَى إلى فِراشِهِ كل ليلةٍ جمع كَفيه ثم نفثَ فيهما فقرأ فيهما {قل هو الله أحدٌ} و {قل أعوذ بربِّ الفَلَق} و {قل أعوذُ بربِّ الناس} ثم يمسح بهما ما استطاع من جَسَدِه، يَبدأ بهما على رأسهِ ووجهه وما أقبلَ من جسدهِ، يفعلُ ذلك ثلاثَ مراتٍ».

[الحديث ٥٠١٧ - طرفاه في: ٥٧٤٨، ٦٣١٩]

قوله (باب فضل المعوذات) أي الإخلاص والفلق والناس.

١٥ ـ باب نزُول السكينَة والملائكة عند قِراءةِ القرآن

٥٠١٨ ـ عن أُسَيْدِ بنِ حُضَيرٍ قال: «بينما هو يقرأ من الليلِ سورةَ البقَرةِ وفَرَسُه مَربُوطٌ عنده إذ جالَتِ الفَرس، فسكَتَ فسكَنتْ، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكت الفرس، ثم قرأ فجالتِ الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فاشفق أن تُصيبه، فلما اجْترّهُ رفَع رأسهَ إلى السماء حتّى ما يراها، فلما أصبح حدَّث النبيَّ ﷺ فقال له: اقرأ يا ابنَ حُضَير، اقرأ يا ابن حضير. قال فاشفقت يارسولَ الله أن تَطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعتُ رأسي فانصرَفتُ إليه، فرفعتُ رأسي إلى السمَّاء، فإذا مثلُ الظُلّة فيها أمثالُ المصابيح، فخرجْتُ حتى لا أراها، قال: وتَدري ما ذاك؟ قال لا، قال: تلكَ الملائكةُ دَنتِ لِصوتك، ولَو قرأتَ لأصبَحَتْ يَنْظر الناسُ إليها، لاتتوارَى منهم».

قوله (فلما اجتره) الضمير لولده أي اجتر ولده من المكان الذي هو فيه حتى لا تطأه الفرس.

قوله (اقرأ يا ابن حضير) أي كان ينبغي أن تستمر على قراءتك، وليس أمراً له بالقراءة في حالة التحديث، وكأنه استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر عنده لما رأى ما رأى، فكأنه يقول استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول الملائكة واستماعها لقراءتك، وفهم أسيد ذلك فأجاب بعذره في قطع القراءة، وهو قوله «خفت أن تطأ يحيى» أي خشيت إن استمريت على القراءة أن تطأ الفرس ولدي، ودل سياق الحديث على محافظة أسيد على خشوعه في صلاته لأنه كان يمكنه أول ما جالت الفرس أن يرفع رأسه، وكأنه كان بلغه حديث النهي عن رفع المصلي رأسه إلى السماء فلم يرفعه حتى اشتد به الخطب.

قال النووي: في هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة للملائكة، كذا أطلق، وهو صحيح لكن

الذي يظهر التقييد بالصالح مثلاً والحسن الصوت، قال: وفيه فضيلة القراءة وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة. قلت: الحكم المذكور أعم من الدليل، فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورةٍ خاصة بصفة خاصة، ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر، وإلا لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارىء، وقد أشار في آخر الحديث بقوله «مايتوارى منهم» إلى أن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم وفيه منقبة لأسيد بن حضير، وفضل قراءة سورة البقرة في صلاة الليل، وفضل الخشوع في الصلاة، وأن التشاغل بشيء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح.

١٦ ـ باب مَن قال: لم يترُكِ النبيُّ ﷺ إلا ما بين الدَّفَّتين

٥٠١٩ ـ عن عبد العزيز بن رُفَيعٍ قال: «دخلت أنا وشدَّادُ بنُ معقلٍ على ابن عباس رضي الله عنهما، فقال له شدَّاد بن مَعقل: أتَرَك النبيُّ ﷺ من شيءٍ؟ قال: ما تَرَك إلا مابين الدَّفَّتين. قال: ودخلنا على محمد بن الحَنَفيَّة فسألناه، فقال: ما ترك إلا ما بين الدَّفَّتين».

قوله (باب من قال لم يتركِ النبيُّ ﷺ إلا ما بين الدفتين) أي ما في المصحف، وليس المراد أنه ترك القرآن مجموعاً بين الدفتين لأن ذلك يخالف ما تقدم من جمع أبي بكر ثم عثمان. وهذه الترجمة للرد على من زعم أن كثيراً من القرآن ذهب لذهاب حملته، وهو شيء اختلقه الروافض لتصحيح دعواهم أن التنصيص على إمامة علي واستحقاقه الخلافة عند موت النبي ﷺ كان ثابتاً في القرآن وأن الصحابة كتموه، وهي دعوى باطلة لأنهم لم يكتموا مثل «أنت عندي بمنزلة هارون من موسى» وغيرها من الظواهر التي قد يتمسك بها من يدعي إمامته. كما لم يكتموا ما يعارض ذلك أو يخصص عمومه أو يقيد مطلقه. وقد تلطف المصنف في الاستدلال على الرافضة بما أخرجه عن أحد أئمتهم الذين يدعون إمامته وهو محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب، فلو كان هناك شيء ما يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالاطلاع عليه، وكذلك ابن عباس فإنه ابن عم علي وأشد الناس له لزوماً واطلاعاً على حاله.

١٧ ـ باب فضل القرآن على سائر الكلام

٥٠٢٠ ـ عن أبي موسى الأشعري عن النبيِّ ﷺ قال: «مَثَلُ الذي يقرأ القرآن كالأُتْرُجَّةِ طعمُها طَيِّبٌ وريحُها طيِّبٌ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمُها طَيب ولا ريحَ فيها. ومثل الفاجِرِ الذي يقرأ القرآن كمثل الريحَانةِ، رِيحها طَيب وطعمها مرٌّ، ومثلُ الفاجر الذي لا يقرأ القرآن، كمثلِ الحنظَلَةِ طعمُها مُرٌّ، ولا رِيح لها».

[الحديث ٥٠٢٠ - أطرافه في: ٥٠٥٩، ٥٤٢٧، ٧٥٦٠]

٥٠٢١ ـ عن ابنَ عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «إنّما أجلُكم في أجلِ من خَلا من الأمم، كما بين صلاةِ العَصر ومَغْرِبِ الشّمسِ، ومَثَلُكم ومثلُ اليهودِ والنصارى، كمثَل رجل استَعملَ عُمَّالاً، فقال: من يعملُ لي إلى نصفِ النهار عَلى قيراط قيراط؟ فعمَلت اليهودُ، فقال مَنْ يعمل لي من نصفِ النّهار إلى العصر؟ فعمِلت النَّصارى، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطَين، قالوا: نحن أكثرُ عملا وأقَلُّ عطاءً، قال: هل ظلمْتكم من حقكمُ؟ قالوا: لا. قال فذاك فضلي أوتيه من شئتُ».

قوله (طعمها طيب وريحها طيب) قيل خص صفة الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة، وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه، ثم قيل: الحكمة في تخصيص الأترجة بالتمثل دون غيرها من الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والريح كالتفاحة لأنه يتداوى بقشرها وهو مفرح بالخاصية، ويستخرج من حبها دهن له منافع وقيل إن الجن لا تقرب البيت الذي فيه الأترج فناسب أن يمثل به القرآن الذي لا تقربه الشياطين، وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيها أيضاً من المزايا كبر جرمها وحسن منظرها وتفريح لونها ولين ملمسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طيب نكهة ودباغ معدة وجودة هضم، ولها منافع أخرى مذكورة في المفردات، وفي الحديث فضيلة حاملي القرآن وضرب المثل للتقريب للفهم، وأن المقصود من تلاوة القرآن العمل بما دل عليه.

١٨ ـ بابُ الوَصاةِ بكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ

٥٠٢٢ ـ عن طلحةَ قال: «سألتُ عبدَ الله بن أبي أوفَى أوصَى النبيُّ ﷺ؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوَصيّةُ، أمِرُوابها ولم يُوصِ؟ قال: أوصى بكتابِ اللهِ».

قوله (باب الوصاة بكتاب الله) المراد بالوصية بكتاب الله حفظه حسا ومعنى، فيكرم ويصان ولا يسافر به إلى أرض العدو، ويتبع مافيه فيعمل بأوامره ويجتنب نواهيه ويداوم تلاوته وتعلمه وتعليمه ونحو ذلك.

١٩ ـ باب مَن لم يَتَغَنَّ بالقُرآنِ

وقوله تعالى: {أوَلم يكفِهم أنّا أنزلنا عليك الكتابَ يُتلَى عليهم} /العنكبوت:٥١/.

٥٠٢٣ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: «قال رسولُ الله ﷺ: لَم يأذَنِ الله لشيء ما أذِنَ لنبيٍّ أنْ يتغنى بالقرآن. وقال صاحِبٌ له: يُريد يَجهَر به».

[الحديث ٥٠٢٣ - أطرافه في: ٥٠٢٤، ٧٤٨٢، ٧٥٤٤]

٥٠٢٤ ـ عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «ما أذِنَ اللهُ لشيءٍ ما أذنَ للنبيِّ أن يَتَغَنَّى بِالقُرآنِ»

قوله (وقوله تعالى أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) أشار بهذه الآية إلى ترجيح تفسير ابن عيينة: يتغنى يستغني، فالمراد بالآية الاستغناء عن أخبار الأمم الماضية، وليس المراد الاستغناء الذي هو ضد الفقر، قال: وإتباع البخاري الترجمة بالآية يدل على أنه يذهب إلى ذلك، وقال القرطبي: أصل الأذن بفتحتين أن المستمع يميل بإذنه إلى جهة من يسمعه، وهذا المعنى في حق الله تعالى لا يراد به ظاهره[1] وإنما هو على سبيل التوسع على ماجرى به عرف المخاطب، والمراد به في حق الله تعالى إكرام القارئ وإجزال ثوبه، لأن ذلك ثمرة الإصغاء، فيكون معنى الحديث الحث على ملازمة القرآن وأن لا يتعدى إلى غيره، وهو يئول من حيث المعنى إلى ما اختاره البخاري من تخصيص الاستغناء وأنه يستغنى به عن غيره من الكتب، وقيل المراد من لم يغنه القرآن وينفعه في إيمانه ويصدق بما فيه من وعد ووعيد، وقيل معناه من لم يرتح لقراءته وسماعه، وليس المراد ما اختاره أبو عبيد أنه يحصل به الغنى دون الفقر، لكن الذي اختاره أبو عبيد غير مدفوع إذا أريد به الغنى المعنوي وهو غنى النفس وهو القناعة لا الغنى المحسوس الذي هو ضد الفقر، لأن ذلك لا يحصل بمجرد ملازمة القراءة إلا إن كان ذلك بالخاصية، وسياق الحديث يأبى الحمل على ذلك فإن فيه إشارة إلى الحث على تكلف ذلك، وفيه توجيهه تكلف كأنه قال ليس منا من لم يتطلب الغنى بملازمة تلاوته، وذكر الطبري عن الشافعي أنه سئل عن تأويل ابن عيينة التغني بالاستغناء فلم يرتضه وقال: لو أراد الاستغناء لقال لم يستغن، وإنما أراد تحسين الصوت.

قال ابن بطال: وبذلك فسره ابن أبي مليكة وعبد الله بن المبارك والنضر بن شميل، ويؤيده رواية عبد الأعلى عن معمر عن ابن شهاب في حديث الباب بلفظ «ما أذن لنبيٍّ في الترنم في القرآن» أخرجه الطبري، وعنده في رواية عبد الرزاق عن معمر «ما أذن لنبيٍّ حسن الصوت» وهذا اللفظ عند مسلم من رواية محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة، وعند ابن أبي داود والطحاوي من رواية عمرو بن دينار عن أبي سلمة عن أبي هريرة «حسن الترنم بالقرآن» قال الطبري: والترنم لا يكون إلا بالصوت إذا حسنه القارىء وطرب به، قال ولو كان معناه الاستغناء لما كان لذكر الصوت ولا لذكر الجهر معنى، والحاصل أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات المذكورة، وهو أن يحسن به صوته جاهراً به مترنما على طريق التحزن، مستغنيا به عن غيره من الأخبار، طالباً به غنى النفس راجياً به غنى اليد، وقد

(١) هذا تأويل مردود، والصواب إثبات هذه الصفة لله حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه، وهو قول أهل السنة والجماعة.

نظمت ذلك في بيتين:

تغن بالقرآن حسن به الصوت حزينا جاهرا رنم

واستغن عن كتب الألي طالباً غنى يد والنفس ثم الزم

ولاشك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم، لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع. وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان، أما تحسين الصوت وتقديم حسَن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك.

قال النووي في «التبيان»: أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم، قال وأما القراءة بالألحان فقد نص الشافعي في موضع على كراهته وقال في موضع آخر لا بأس به، فقال أصحابه: ليس على اختلاف قولين، بل على اختلاف حالين، فإن لم يخرج بالألحان على المنهج القويم جاز وإلا حرم، والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث، وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح. ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها مالم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراآت، فإن خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الأداء، ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعي الأداء، فإن وجد من يراعيهما معاً فلا شك في أنه أرجح من غيره لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم.

٢٠ ـ باب اغتباطِ صاحب القرآن

٥٠٢٥ ـ عن عبدِ اللهِ بن عُمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا حَسَد إلا على اثنتين: رجلٌ آتاه الله الكِتابَ وقام به آناءَ الليل، ورجلٌ أعطاهُ اللهُ مالاً فهوَ يَتصدَّقُ به آناءَ الليل وآناء النهار».

[الحديث ٥٠٢٥ - طرفه في: ٧٥٢٩]

٥٠٢٦ ـ عن أبي هريرةَ «أنّ رسولَ الله ﷺ قال: لا حسد إلا في اثنتينِ: رجلٌ علّمهُ الله القرآنَ فهوَ يَتلوهُ آناءَ الليل وآناءَ النهار، فسمعَهُ جارٌ له فقال: ليتَني أُوتيت مثلما أوتي فلان، فعملتُ مثل ما يَعمل، ورجلٌ آتاهُ الله مالاً فهوَ يُهلِكه في الحق، فقال رجلٌ: ليتني أوتيتُ مثلَ ما أُوتيَ فلان، فعملتُ مثلَ ما يَعمل».

[الحديث ٥٠٢٦ - طرفاه في: ٧٢٣٣، ٧٥٢٨]

قوله (باب اغتباط صاحب القرآن) تقدم في أوائل كتاب العلم «باب الاغتباط في العلم والحكمة» وذكرت هناك تفسير الغبطة والفرق بينها وبين الحسد وأن الحسد في الحديث أطلق عليها مجازاً».

قوله (لا حسد) أي لا رخصة في الحسد إلا في خصلتين.

٢١ ـ باب خَيْرُكمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرآنَ وعلَّمَهُ

٥٠٢٧ ـ عن عثمانَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «خيرُكم من تعلم القرآنَ وعلَّمهُ. قال وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرةِ عُثْمانَ حتى كان الحجّاج، قال: وذاك الذي أقعدني مَقعَدِي هذا».

[الحديث ٥٠٢٧ – طرفه في: ٥٠٢٨]

٥٠٢٨ ـ عن عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ «إنَّ أفضَلَكُم من تَعَلَّمَ القرآنَ وعلَّمهُ».

٥٠٢٩ ـ عن سهلِ بنِ سعدٍ قال: «أتَتِ النَّبيَّ ﷺ امرأةٌ فقالت: إنها قد وهَبَت نفسها لله ولرسولهِ ﷺ. فقال: مالي في النساء من حاجةٍ، فقال رجلٌ: زَوِّجْنيها، قال: أعطها ثوباً، قال: لا أجِد، قال: أعطِها ولو خاتماً من حديدٍ، فاعْتَلَّ له، فقال: ما معك مِن القرآنِ؟ قال: كذا وكذا قال: فقد زَوَّجْتُكَهَا بما معك من القرآن».

قوله (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) المراد بالخيرية من جهة حصول التعليم بعد العلم، والذي يعلم غيره يحصل له النفع المتعدي بخلاف من يعمل فقط، بل من أشرف العمل تعليم الغير، فمعلم غيره يستلزم أن يكون تعلمه، وتعليمه لغيره عمل وتحصيل نفع متعد، ولا يقال لو كان المعنى حصول النفع المتعدي لاشترك كل من علم غيره علماً ما في ذلك، لأنا نقول القرآن أشرف العلوم فيكون من تعلمه وعلمه لغيره أشرف ممن تعلم غير القرآن وإن علمه فيثبت المدعى، ولاشك أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل، وهو من جملة من عنى سبحانه وتعالى بقوله {ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين} والدعاء إلى الله يقع بأمور شتى من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع، وعكسه الكافر المانع لغيره من الإسلام كما قال تعالى {فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها} فإن قيل: فيلزم على هذا أن يكون المقرىء أفضل من الفقيه، قلنا: لا، لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس لأنهم كانوا أهل اللسان فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقه أكثر مما يدريها من بعدهم بالاكتساب، فكان الفقه لهم سجية، فمن كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك، لا من كان

قارئاً أو مقرئاً محضاً لا يفهم شيئاً من معاني ما يقرؤه أو يقرئه، فإن قيل فيلزم أن يكون المقرىء أفضل ممن هو أعظم غناء في الإسلام بالمجاهدة والرباط والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلاً، قلنا حرف المسألة يدور على النفع المتعدي فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل.

٢٢ - باب القِرَاءَةِ عَنْ ظهرِ القَلْبِ

٥٠٣٠ - عن سهلِ بنِ سعدٍ «أنَّ امرأةً جاءت رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله جئت لأهَبَ لك نفسي. فنظر إليها رسول الله ﷺ فصَعَّدَ النظر إليها وصوَّبه، ثمَّ طأطأ رأسَهُ. فلما رأتِ المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جَلَسَتْ. فقام رجلٌ من أصْحَابه فقال: يا رسولَ الله إن لم يَكُنْ لك بها حاجةٌ فزَوِّجْنيها، فقال له: هل عندكَ من شيء؟ فقال: لا والله يا رسولَ الله. قال اذهب إلى أهْلِكَ فانْظُر هل تَجِد شيئا، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسولَ الله، ما وجَدت شيئاً. قال انظر ولو خاتماً من حديدٍ، فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حَديدٍ، ولكن هذا إزاري، قال سهلٌ ماله رِداءٌ فلها نصفهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: ما تَصنَع بإزارك؟ إن لَبستَه لم يكن عليها منه شيءٌ، وإن لبستهُ لم يكن عليك شيءٌ فجلس الرجلُ حتى طال مجلسهُ، ثم قام، فرآهُ رسول الله ﷺ مُوَلِّياً، فأمر به فَدُعِيَ، فلمَّا جاء قال: ماذا مَعَكَ منَ القرآنِ؟ قال: مَعي سورَةُ كذا وسورةُ كذا وسورةُ كذا عدَّها، قال أتقرَؤُهُنَّ عن ظَهْرِ قَلْبِكَ؟ قال: نَعَم. قال: اذْهَبْ، فقد مُلِّكْتُكَهَا بما مَعَكَ من القرآن».

قوله (باب القراءة عن ظهر القلب) ذكر فيه حديث سهل في الواهبة مطولاً، وهو ظاهر فيما ترجم له لقوله فيه «أتقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال: نعم» فدل على فضل القراءة عن ظهر القلب لأنها أمكن في التوصل إلى التعليم وقال ابن كثير: إن كان البخاري أراد بهذا الحديث الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل من تلاوته نظراً من المصحف ففيه نظر، لأنها قضية عين فيحتمل أن يكون الرجل كان لا يحسن الكتابة وعلم النبي ﷺ ذلك فلا يدل ذلك على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل في حق من يحسن ومن لا يحسن، قلت: ولا يرد على البخاري شيء مما ذكر، لأن المراد بقوله«باب القراءة عن ظهر قلب» مشروعيتها أو استحبابها، والحديث مطابق لما ترجم به، ولم يتعرض لكونها أفضل من القراءة نظراً، وقد صرح كثير من العلماء بأن القراءة من المصحف نظراً أفضل من القراءة عن ظهر قلب.

وأخرج أبو عبيد في «فضائل القرآن»، من طريق ابن مسعود موقوفاً «أديموا النظر في المصحف» وإسناده صحيح، ومن حيث المعنى أن القراءة في المصحف أسلم من الغلط، لكن

القراءة عن ظهر القلب أبعد من الرياء وأمكن للخشوع. والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص.

٢٣ - باب اسْتِذْكارِ الْقُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ

٥٠٣١ - عن ابن عُمر رضي الله عنهما أنّ رسولَ الله ﷺ قال «إنما مثَل صاحبِ القرآن كمثل صاحب الإبلِ المعقّلةِ، إنْ عَاهَد عليها أمْسَكَهَا، وإنْ أطْلَقَهَا ذَهَبَتْ».

٥٠٣٢ - عن عبد الله قال: «قال النبيُّ ﷺ بئسَ مالأحَدِهم أن يقول نسيت آية كَيتَ وكيتَ بل نسيَ، واستَذكِروا القرآنَ فإنه أشدُّ تَفصيًا من صُدور الرِّجال من النَّعَم».

[الحديث ٥٠٣٢ - طرفه في: ٥٠٣٩]

٥٠٣٣ - عن أبي موسى عن النبيِّ ﷺ قال: «تعاهَدوا القرآن، فَو الذي نفسي بيده لهوَ أشدُّ تَفَصِّيًا من الإبل في عُقُلِهَا».

قوله (باب استذكار القرآن) أي طلب ذكره (وتعاهده) أي تجديد العهد به بملازمة تلاوته.

قوله (إنما مثل صاحب القرآن) أي مع القرآن، والمراد بالصاحب الذي ألفه.

قوله (كمثل صاحب الإبل المعقلة) أي مع الإبل المعقلة، أي المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير، شبه درْسَ القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد، فما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود، كما أن البعير مادام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ.

قوله (إن عاهد عليها أمسكها) أي استمر إمساكه لها.

قوله (وإن أطلقها ذهبت) أي انفلتت. وفي رواية موسى بن عقبة عن نافع إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه.

قوله (فإنه أشد تفصيا) أي تفلتًا وتخلصا، وفي هذه الأحاديث الحض على محافظة القرآن بدوام دراسته وتكرار تلاوته، وضرب الأمثال لإيضاح المقاصد.

٢٤ - باب القِرَاءَةِ على الدَّابَّةِ

٥٠٣٤ - عن عبدِ الله بن مُغَفَّلٍ قال: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ يوم فتحِ مكة وهو يقرأ على راحِلَتِهِ سورة الفَتح.

٢٥ - باب تَعْلِيْم الصِّبْيَانِ الْقُرْآنَ

٥٠٣٥ - عن سعيد بن جبيرٍ قال: «إنَّ الذي تَدعونه المفَصَّلَ هو المُحْكَمُ. قال: وقال ابن عبّاسٍ: تُوفّي رسولُ الله ﷺ وأنا ابنُ عشرِ سنين وقد قرأتُ المُحْكَمَ».

[الحديث ٥٠٣٥ - طرفه في: ٥٠٣٦]

٥٠٣٦ - عن ابن عباس رضي الله عنهما «جمعتُ المُحْكَمَ في عَهْدِ رسولِ الله ﷺ. فقلتُ له: وما المُحْكَمُ؟ قال: المفَصَّلُ»

قوله (باب تعليم الصبيان القرآن) كأنه أشار إلى الرد على من كره ذلك، وقد جاءت كراهية ذلك عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وأسنده ابن أبي داود عنهما، ولفظ إبراهيم «كانوا يكرهون أن يعلموا الغلام القرآن حتى يعقل» وكلام سعيد بن جبير يدل على أن كراهة ذلك من جهة حصول الملال له، ولفظه عند ابن أبي داود أيضاً «كانوا يحبون أن يكون يقرأ الصبي بعد حين» وأخرج بإسناد صحيح عن الأشعث بن قيس أنه قدم غلاماً صغيراً فعابوا عليه فقال: ما قدمته، ولكن قدمه القرآن، وحجة من أجاز ذلك أنه أدعى إلى ثبوته ورسوخه عنده، كما يقال التعلم في الصغر كالنقش في الحجر، وكلام سعيد بن جبير يدل على أنه يستحب أن يترك الصبي أولاً مرفها ثم يؤخذ بالجد على التدريج، والحق أن ذلك يختلف بالأشخاص والله أعلم.

قوله (عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم، قال وقال ابن عباس: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم) المراد بالمحكم الذي ليس فيه منسوخ، ويطلق المحكم على ضد المتشابه، وهو اصطلاح أهل الأصول، والمراد بالمفصل السور التي كثرت فصولها وهي من الحجرات إلى آخر القرآن على الصحيح.

٢٦ - بابُ نِسْيَانِ الْقُرْآنِ وَهَل يَقُولُ نَسيْتُ آيَةً كَذَا وكَذَا

وقولِ الله تعالى: {سَنُقْرِئُكَ فلا تَنسَى إلا ما شَاءَ الله} /الأعلى:٦/.

٥٠٣٧ - عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «سمعَ النبيُّ ﷺ رجُلاً يَقرأ في المسجد فقال: يَرحَمُهُ الله، لقد أذكَرَني كَذَا وكَذَا آيةً من سورةِ كَذَا».

٥٠٣٨ - عن عائشة قالت: «سمعَ رسولُ الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورةٍ باللَّيْلِ فقال: يَرحمه الله، لقد أذكَرَني آيةَ كَذَا وكَذَ كنتُ أُنسِيتُهَا من سورةِ كَذَا وكَذَا».

٥٠٣٩ - عن عبد الله قال: «قال النبيُّ ﷺ: بئس ما لأحدهم يقول: نَسِيْتُ آيةَ كَيْتَ وكَيْتَ، بَلْ هو نُسِّيَ».

قوله (باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت أية كذا وكذا) واختلف السلف في نسيان القرآن فمنهم من جعل ذلك من الكبائر، وأخرج أبو عبيد من طريق الضحاك بن مزاحم موقوفاً قال: ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه، لأن الله يقول {وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم} ونسيان القرآن من أعظم المصائب.

ومن طريق أبي العالية موقوفاً: «كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم

ينام عنه حتى ينساه» وإسناده جيد. ومن طريق ابن سيرين بإسناد صحيح في الذي ينسى القرآن كانوا يكرهونه ويقولون فيه قولاً شديدا.

٢٧ ـ باب مَن لم يَرَ بأساً أن يقولَ سورة البَقَرة وسورة كذا وكذا

٥٠٤٠ ـ عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ قال: «قال النبيُّ ﷺ: الآيتانِ من آخرِ سورةِ البقرة من قرأ بهما في ليلةٍ كفَتاه».

٥٠٤١ ـ عن المسور بن مَخرَمةَ وعبدِ الرحمن بن عبدِ القاريِّ أنهما «سمعا عمرَ بن الخطاب يقول: سمعت هشامَ بن حكيم بن حِزام يقرأ سورةَ الفرقانِ في حياة رسولِ الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هوَ يَقرؤها على حروفٍ كثيرةٍ لم يقرئنيها رسولُ الله ﷺ، فكدتُ أساورهُ في الصلاة، فانتظرتهُ حتّى سلم فلبَّبْته فقلتُ: من أقرأكَ هذهِ السورة التي سمعتكَ تقرأ. قال أقرأنيها رسولُ الله ﷺ، فقلتُ له: كذبتَ، فو الله إنَّ رسولَ الله ﷺ لهوَ أقرأني هذه السورة التي سمعتكَ، فانطَلقتُ بهِ إلى رسول الله ﷺ أقودُهُ، فقلت: يا رسولَ الله، إني سمعت هذا يَقرأ سورةَ الفرقان على حروفٍ لم تُقرِئنيها، وإنكَ أقرأتني سورةَ الفرقان، فقال: يا هشامُ اقرَأها، فقرأها القراءةَ التي سمعتهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: هكذا أُنزِلت، ثم قال: اقرأ يا عمرُ، فقرَأتها التي أقرَأنيها، فقال رسولُ الله ﷺ: هكذا أنزِلت. ثم قال رسولُ الله ﷺ: إنَّ القرآن أنزِل على سبعةِ أحرُفٍ، فاقرَءوا ما تيسَّر منه».

٥٠٤٢ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «سمع النبيُّ ﷺ قارئاً يقرَأ من الليل في المسجد، فقال: يَرحمهُ الله، لقد أذكرَني كذا وكذا آيةً أسقطتُها من سورةِ كذا وكذا».

قوله (باب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا) أشار بذلك إلى الرد على من كره ذلك وقال: لا يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا، وقد تقدم في الحج من طريق الأعمش أنه سمع الحجاج بن يوسف على المنبر يقول: السورة التي يذكر فيها كذا، وأنه رد عليه بحديث أبي مسعود، قال عياض: حديث أبي مسعود حجة في جواز قول سورة البقرة ونحوها، وقد اختلف في هذا فأجازه بعضهم وكره بعضهم وقال: تقول السورة التي تذكر فيها البقرة. قلت: وقد تقدم في أبواب الرمي من كتاب الحج أن إبراهيم النخعي أنكر قول الحجاج لا تقولوا سورة البقرة، وفي رواية مسلم أنها سنة، وأورد حديث أبي مسعود، وأقوى من هذا في الحجة ما أورده المصنف من لفظ النبي ﷺ، وجاءت فيه أحاديث كثيرة صحيحة من لفظ النبي ﷺ، قال النووي في «الأذكار»: يجوز أن يقول سورة البقرة -إلى أن قال- وسورة العنكبوت وكذلك الباقي ولا كراهة في ذلك. وقال بعض السلف: يكره ذلك، والصواب الأول، وهو قول الجماهير.

٢٨ - بابُ التَّرْتِيْلِ في الْقِرَاءَةِ،

وقوله تعالى: {ورتِّلِ القُرآنَ تَرْتِيْلا} /المزمل:٤/، وقوله تعالى {وقرآناً فَرقْناهُ لتَقرأهُ على النَّاسِ على مُكْث} /الإسراء:١٠٦/ وما يُكرَهُ أن يهذَّ كهذِّ الشِّعر، فيها يُفرَق: يُفصل، قال ابنُ عباس فَرقناهُ: فصلْناه.

٥٠٤٣ - عن عبد الله قال: «غَدونا على عبدِ الله، فقال رجلٌ: قرأتُ المُفَصَّل البارحة، فقال: هذاً كهذِّ الشِّعر، إنا قد سمعنا القراءَةَ، وإني لأحفظُ القُرَناءَ التي كان يَقرَأ بِهِنَّ النبيُّ ﷺ ثماني عَشرةَ سورةً من المفصل وسُورتَين من آل حم».

٥٠٤٤ - عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما في قوله {لا تُحرِّك به لسانَكَ لتَعجلَ به}، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا نزلَ عليه جبريلُ بالوَحي، وكان مما يحرِّكُ به لسانَهُ وشَفَتيه، فيشتدُّ عليه، وكان يُعرَفُ منه، فأنزلَ اللهُ الآيةَ التي في {لا أقسِمُ بيوم القيامة}: {لا تُحرِّك به لسانكَ لتعجلَ به، إنَّ علينا جَمْعَهُ وقرآنه} فإنَّ علينا أن نَجمعهُ في صدرِك وقُرآنه {فإذا قرأناه فاتبع قرآنه} فإذا أنزلناه فاستمع {ثمَّ إنَّ علينا بَيانه} قال: إن علينا أن نبيِّنه بلسانك. قال: وكان إذا أتاهُ جبريلُ أطرَقَ، فإذا ذهبَ قرأهُ كما وعدَهُ الله».

قوله (باب الترتيل في القراءة) أي تبيين حروفها والتأني في أدائها ليكون أدعى إلى فهم معانيها.

قوله (وقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا) كأنه يشير إلى ما ورد عن السلف في تفسيرها، فعند الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قوله تعالى {ورتل القرآن} قال: بعضه إثر بعض على تؤدة، وعن قتادة قال: بينه بيانا. والأمر بذلك إن لم يكن للوجوب يكون مستحباً.

قوله (وما يكره أن يهذ كهذ الشعر) كأنه يشير إلى أن استحباب الترتيل لا يستلزم كراهة الإسراع، وإنما الذي يكره الهذ وهو الإسراع المفرط بحيث يخفى كثير من الحروف أو لا تخرج من مخارجها.

قوله (قال ابن عباس: فرقناه فصلناه) وعند أبي عبيد من طريق مجاهد أن رجلاً سأله عن رجل قرأ البقرة وآل عمران ورجل قرأ البقرة فقط قيامهما واحد ركوعهما واحد وسجودهما واحد، فقال الذي قرأ البقرة فقط أفضل، ثم تلا {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث} ومن طريق أبي حمزة «قلت لابن عباس إني سريع القراءة، وإني لأقرأ القرآن في ثلاث فقال: لأن أقرأ البقرة أرتلها فأتدبرها خير من أن أقرأ كما تقول» وعند ابن أبي داود من طريق أخرى عن أبي حمزة «قلت لابنْ عباس: إني رجل سريع القراءة، إني لأقرأ القرآن في ليلة، فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة أحب إليَّ، إن كنت لابد فاعلاً فاقرأ قراءة تسمعها

أذنيك ويوعها قلبك، والتحقيق أن لكل من الإسراع والترتيل جهة فضل، بشرط أن يكون المسرع لا يخل بشيء من الحروف والحركات والسكون الواجبات، فلا يمتنع أن يفضل أحدهما الآخر وأن يستويا، فإن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة مثمنة، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات، وقد يكون بالعكس.

٢٩ ـ باب مدِّ القِراءة

٥٠٤٥ ـ عن قتادةَ قال: «سألتُ أنسَ بن مالكٍ عن قِراءةِ النبيِّ ﷺ فقال: كان يَمُدُّ مَدّاً».

[الحديث ٥٠٤٥ – طرفه في: ٥٠٤٦]

٥٠٤٦ ـ عن قتادة قال: «سُئِلَ أنسٌ: كيف كانت قراءةُ النبيِّ ﷺ؟ فقال كانت مَدّاً. ثم قرأ بسم الله الرحمنِ الرحيم يَمدُّ ببسم الله، ويمدُّ بالرحمن، ويمدُّ بالرحيم».

قوله (باب مدِّ القراءة) المد عند القراءة على ضربين: أصلي وهو إشباع الحرف الذي بعده ألف أو واو أو ياء، وغير أصلي وهو ما إذا أعقب الحرف الذي هذه صفته همزة، وهو متصل ومنفصل، فالمتصل ما كان من نفس الكلمة والمنفصل ما كان بكلمة أخرى، فالأول يؤتى فيه بالألف والواو والياء ممكنات من غير زيادة والثاني يزاد في تمكين الألف والواو والياء زيادة على المد الذي لا يمكن النطق بها إلا به من غير إسراف. والمذهب الأعدل أنه يمد كل حرف منها ضعفي ما كان يمده أولاً وقد يزاد على ذلك قليلاً، وما أفرط فهو غير محمود، والمراد من الترجمة الضرب الأول.

٣٠ ـ باب التَّرْجِيْع

٥٠٤٧ ـ عن عبدِ الله بن مُغفَّلٍ قال: «رأيتُ النبيَّ ﷺ يقرأ وهو على ناقته – أو جمله وهي تسيرُ به وهو يقرأ سورةَ الفتح – أو من سورة الفتح – قراءةً ليِّنةً يقرأ وهو يرَجِّع».

قوله (باب الترجيع) هو تقارب ضروب الحركات في القراءة، وأصله الترديد، وترجيع الصوت ترديده في الحلق، وقد فسره كما سيأتي في حديث عبد الله بن مغفل المذكور في هذا الباب في كتاب التوحيد بقوله «آاآ بهمزة مفتوحة بعدها ألف ساكنة ثم همزة أخرى». ثم قالوا: يحتمل أمرين: أحدهما أن ذلك حدث من هز الناقة، والآخر أنه أشبع المد في موضعه فحدث ذلك، وهذا الثاني أشبه بالسياق فإن في بعض طرقه «لولا أن يجتمع الناس لقرأت لكم بذلك اللحن» أي النغم، وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع، وقال الشيخ

أبو محمد بن أبي جمرة: معنى الترجيع تحسين التلاوة لا بترجيع الغناء، لأن القراءة بترجيع الغناء تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة، قال: وفي الحديث ملازمته ﷺ للعبادة لأنه حالة ركوبه الناقة وهو يسير لم يترك العبادة بالتلاوة، وفي جهره بذلك إرشاد إلى أن الجهر بالعبادة قد يكون في بعض المواضع أفضل من الإسرار، وهو عند التعليم وإيقاظ الغافل ونحو ذلك.

٣١-بابُ حُسْنِ الصَّوْتِ بالقراءَةِ لِلْقُرْآنِ

٥٠٤٨ ـ عن أبي موسى رضي الله عنه «إنَّ النبيَّ ﷺ قال له: يا أبا موسى، لقد أُوتِيْتَ مِزماراً من مَزَامِيْر آل داود».

قوله (باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن) وقد تقدم في «باب من لم يتغن بالقرآن» نقل الإجماع على استحباب سماع القرآن من ذي الصوت الحسن، وأخرج ابن أبي داود من طريق ابن أبي مسجعة قال: «كان عمر يقدم الشاب الحسن الصوت لحسن صوته بين يدي القوم».

٣٢ ـ بابُ مَن أحبَّ أن يَستَمِعَ القُرآنَ مِن غَيْرِه

٥٠٤٩ ـ عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «اقرأ عليَّ القرآن. قلت: آقرأ عليك وعليك أنزِل؟ قال: إني أحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِن غَيْرِي».

قوله (باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره) قال ابن بطال: يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارىء لاشتغاله بالقراءة وأحكامها، وهذا بخلاف قراءته هو ﷺ على أبي بن كعب كما تقدم في المناقب وغيرها فإنه، أراد أن يعلمه كيفية أداء القراءة ومخارج الحروف ونحو ذلك، ويأتي شرح الحديث بعد أبواب في «باب البكاء عند قراءة القرآن»(١).

٣٣ ـ باب قولِ المقرئ للقارئ: حَسْبُك

٥٠٥٠ ـ عن عبد الله بن مسعودٍ قال: «قال لي النبيُّ ﷺ اقرأ عليَّ، قلتُ يا رسول الله آقرأ عليكَ وعليكَ أنزل؟ قال: نعم، فقرأتُ سورة النساءِ حتى أتيتُ على هذه الآيةِ {فكيف إذا جِئنا من كل أمةٍ بشهيدٍ، وجئنا بك على هؤلاءِ شهيدا} قال: حَسْبُك الآن، فالْتَفتُّ إليه، فإذا عيناه تَذرفان».

(١) كتاب فضائل القرآن باب / ٣٥ ح ٥٠٥٥ - ٤ / ٣٢

٣٤ ـ باب في كم يُقرأ القرآنُ

وقولُ الله تعالى: {فاقرَءوا ما تيسَّر منه} /المزمل٢٠/

٥٠٥١ ـ عن سُفيانَ قال لي ابنُ شُبْرُمةَ: نظرتُ كم يكفي الرجُلَ منَ القرآن؛ فلم أجِدْ سورةً أقَلَّ من ثلاثِ آيات، فقلت لا ينبَغي لأحَدٍ أن يقرأ أقلَّ من ثلاث آيات. عن أبي مسعُودٍ ولقيته وهو يطوف بالبيتِ، فذكر قول النبيِّ ﷺ : «إنَّهُ من قرأ بالآيَتين مِن آخرِ سورة البقرة في ليلةٍ كَفَتاهُ».

٥٠٥٢ ـ عن عبدِ الله بن عمرو قال: «أنكَحَني أبي امرأةً ذاتَ حَسَب، فكان يتعاهَدُ كَنَّتهُ فيسألها عن بَعلها، فتقول: نعمَ الرجُلُ من رجلٍ، لم يطأ لنا فِراشا ولم يُفتِّش لنا كَنَفًا مُنذ أتيناه، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبيِّ ﷺ، فقال: ألقني به فَلقيته بَعدُ، فقال: كيف تصوم؟ قلت: أصوم كل يَوم، قال وكيف تختم؟ قلت: كل ليلةٍ، قال: صُم في كلِّ شهر ثلاثةً واقرأ القرآن في كل شهر، قال: قلتُ: أطيقُ أكثَر من ذلك، قال: صُم ثلاثة أيام في الجمعة، قال: قلت: أطِيقُ أكثرَ من ذلك، قال: أفطر يومَين. وصُم يوماً، قال: قلت: أطِيقُ أكثر من ذلك، قال صُم أفضَل الصومِ صوم داود، صيامَ يومٍ وإفطار يومٍ، واقرأ في كلِّ سبع ليالٍ مرَّةً. فَليتَني قبلتُ رُخْصة رسولِ الله ﷺ، وذاك أني كبرتُ وضَعُفت فكان يَقرأ على بعض أهله السُّبْعَ من القرآن بالنهار والذي يقرؤه يَعرضهُ من النهار ليكونَ أخَفَّ عليه بالليل وإذا أراد أن يتقوّى أفطرَ أياماً وأحصى وصام مِثلهُنَّ، كراهيةَ أن يَتركَ شيئاً فارقَ النبيَّ ﷺ عليه». قال أبو عبد الله وقال بعضُهُم: في ثلاثٍ أو في سَبعٍ وأكثرهم على سَبعٍ.

٥٠٥٣ ـ عن عبد الله بن عَمرٍو قال: «قال لي النبيُّ ﷺ: في كم تقرأ القرآنَ؟».

٥٠٥٤ ـ عن محمد بن عبد الرحمن مولى: بني زهره عن أبي سلَمةَ - قال وَأحسبُني قال سمعتُ أنا مِن أبي سلَمةَ - عن عبد الله بن عمرو قال: «قال لي رسولُ الله ﷺ: اقرأ القرآن في شهر، قلتُ إني أجد قوَّة، حتى قال: فاقرأهُ في سبع ولا تزد على ذلك».

قوله (كنَّته) هي زوج الولد.

قوله (لم يطأ لنا فراشاً) أي لم يضاجعنا حتى يطأ فراشنا.

قوله (ولم يفتِّش لنا كنفا) وأرادت بذلك الكناية عن عدم جماعه لها.

قوله (فلما طال ذلك[١]) أي على عمرو (ذكر ذلك للنبي ﷺ) وكأنه تأنى في شكواه رجاء أن يتدارك، فلما تمادى على حاله خَشِيَ أن يلحقه إثم بتضييع حق الزوجة فشكاه.

قوله (فقال القني) أي قال لعبد الله بن عمرو.

قوله (واقرأ في كل سبع ليال مرة) أي اختم في كل سبع.

قوله (وقال بعضهم في ثلاث أو في سبع) وعند أبي داود والترمذي مصححاً من طريق يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» وشاهده عند سعيد بن منصور بإسناد صحيح من وجه آخر عن ابن مسعود «اقرءوا القرآن في سبع ولا تقرءوه في أقل من ثلاث» وثبت عن كثير من السلف أنهم قرءوا القرآن في دون ذلك، قال النووي: والاختيار أن ذلك يختلف بالأشخاص فمن كان من أهل الفهم وتدقيق الفكر استحب له أن يقتصر على القدر الذي لا يختل به المقصود من التدبر وإستخراج المعاني، وكذا من كان له شغل بالعلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة يستحب له أن يقتصر منه على القدر الذي لا يخل بما هو فيه، ومن لم يكن كذلك فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل ولا يقرؤه هذرمة. والله أعلم.

(تنبيه): المراد بالقرآن في حديث الباب جميعه.

٣٥ ـ باب البكاءِ عند قِراءَةِ القرآن

٥٠٥٥ ـ عن عبد الله قال: «قال رسولُ الله ﷺ: اقرأ عليَّ، قال قُلتُ آقرأ عليكَ وعليكَ أنزِل؟ قال: إني أشتهي أن أسمعَه من غيرِي، قال فقَرأتُ النساء حتى إذا بلغتُ {فكيفَ إذا جِئنا من كلِّ أمةٍ بشهيد، وجئنا بكَ على هؤلاءِ شهيداً} قال لي: كفَّ، أو أمسكْ. فرأيت عَينيه تذرِفان».

٥٠٥٦ ـ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قال لي النبيُّ ﷺ: اقرأ عليَّ، قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إنّي أحِبُّ أن أسمَعَه من غيري».

قوله (باب البكاء عند قراءة القرآن) قال النووي: البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين وشعار الصالحين، قال الله تعالى {ويخرون للأذقان يبكون} {خروا سجداً وبكيا} والأحاديث فيه كثيرة. قال الغزالي: يستحب البكاء مع القراءة وعندها، وطريق تحصيله أن يحصر قلبه الحزن والخوف بتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والوثائق والعهود ثم ينظر تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن فليبك على فقد ذلك وأنه من أعظم المصائب.

قال ابن بطال: إنما بكى ﷺ عند تلاوته هذه الآية لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة وشدة الحال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف، وهو أمر يحق له طول البكاء انتهى، والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته، لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم وعملهم قد لا يكون مستقيماً فقد يفضي إلى تعذيبهم، والله أعلم.

---

(١) رواية الباب واليونينية "فلما طال ذلك عليه"

٣٦ ـ باب إثم من راءى بقراءَةِ القرآن، أو تأكَّلَ به، أو فَجَر به

٥٠٥٧ ـ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «سمعت النبيَّ ﷺ يقول: يأتي في آخرِ الزّمان قوم حُدَثاءُ الأسنان، سُفَهَاء الأحلام، يقولون من خَيرِ قول البريَّة، يَمرُقون منَ الإسلامِ كما يمرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ، لا يجاوز إيمانهُم حَناجرَهم، فأينما لَقِيتموهم فاقتُلوهُم، فإنَّ قَتْلَهُمْ أجْرٌ لمن قَتَلَهم يومَ القيامة».

٥٠٥٨ ـ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه أنه قال: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول يَخرُج فيكم قومٌ تحقرون صلاتَكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامِهم، وعملكم مع عَملِهِم؛ ويقرَءون القرآن لا يُجاوز حناجرَهم، يَمرقُون من الدِّين ، كما يمرُقَ السهم من الرَّمِيَّةِ، ينظر في النصْل فلا يرى شيئاً، وينظُر في القِدْح فلا يرى شيئاً، وينظُرُ في الرِّيش فلا يَرى شيئاً، ويَتمارَي في الفُوق».

٥٠٥٩ ـ عن أبي موسى عن النبيِّ ﷺ قال: «المُؤمن الذي يقرأ القرآنَ ويَعمْل به كالأترُجةِ طعمُها طَيبٌ وريحُها طَيِّبٌ، والمؤمن الذي لا يقرأُ القرآنَ ويَعْملُ به كالتمرةِ طعْمها طَيب ولا ريحَ لها. ومَثلُ المنافق الذي يقرَأُ القرآن كالرَّيحانةِ رِيحُها طيِّبٌ وطعْمها مُر ومَثلُ المنافق الذي لا يقرَأُ القرآن كالحنْظَلة طعْمُها مُرّ أو خبيثٌ وريحها مرٌّ».

وقوله (لا يجاوز حناجرهم) قال الداودي: يريد أنهم تعلقوا بشيء منه. قلت: إن كان مراده بالتعلق الحفظ فقط دون العلم بمدلوله فعسى أن يتم له مراده، وإلا فالذي فهمه الأئمة من السياق أن المراد أن الإيمان لم يرسخ في قلوبهم لأن ما وقف عند الحلقوم فلم يتجاوزه لا يصل إلى القلب.

٣٧ ـ باب اقْرَءوا القرآنَ ما ائْتَلَفَتْ عليه قُلوبُكم

٥٠٦٠ ـ عن جُندبِ بنِ عبدِ الله عن النبيِّ ﷺ قال: «اقرَءوا القرآنَ ما ائتلفت قلوُبكم، فإذا اختَلفتم فقوموا عنه».

[الحديث ٥٠٦٠ - أطرافه في: ٥٠٦١، ٧٣٦٤، ٧٣٦٥]

٥٠٦١ ـ عن جُندبٍ «قال النبيُّ ﷺ: اقرَءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوُبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه».

٥٠٦٢ ـ عن عبدِ الله «أنه سمعَ رجُلاً يَقرأ آيةً سمعَ النبيَّ ﷺ قرأ خِلافها، فأخذتُ بيدهِ فانطلَقْتُ به إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «كِلاكما مُحسِنٌ» فاقرآ، أكبرُ علمي قال: فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم».

قوله (باب اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم) أي اجتمعت.

قوله (فإذا اختلفتم) أي في فهم معانيه (فقوموا عنه) أي تفرقوا لئلا يتمادى بكم

الاختلاف إلى الشر، قال عياض: يحتمل أن يكون النهي خاصاً بزمنه ﷺ لئلا يكون ذلك سبباً لنزول ما يسوؤهم كما في قوله تعالى {لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم}، ويحتمل أن يكون المعنى اقرءوا و الزموا الائتلاف على ما دل عليه وقاد إليه، فإذا وقع الاختلاف أو عرض عارض شبهة يقتضي المنازعة الداعية إلى الافتراق فاتركوا القراءة، وتمسكوا بالمحكم الموجب للألفة واعرضوا عن المتشابه المؤدي إلى الفرقة، وهو كقوله ﷺ «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم» ويحتمل أنه ينهى عن القراءة إذا وقع الاختلاف في كيفية الأداء بأن يتفرقوا عند الاختلاف ويستمر كل منهم على قراءته، ومثله ما تقدم عن ابن مسعود لما وقع بينه وبين الصحابيين الآخرين الاختلاف في الأداء، فترافعوا إلى النبي ﷺ فقال: «كلكم محسن» وفي هذا الحديث والذي قبله الحض على الجماعة والألفة والتحذير من الفرقة والاختلاف والنهي عن المراء في القرآن بغير حق، ومن شر ذلك أن تظهر دلالة الآية على شيء يخالف الرأي فيتوسل بالنظر وتدقيقه إلى تأويلها وحملها على ذلك الرأي ويقع اللجاج في ذلك والمناضلة عليه.